# رسالة من وراء القضبان

الحمد لله رب العالمين , نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه , ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له , ومن يضلل فلا هادي له , وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له , وأشهد أن محمدا عبده ورسوله , صلى الله وسلم وبارك عليه , وعلى آله وأصحابه الذين قضوا بالحق وبه كانوا يعدلون ... أما بعد ,

فهذه رسالة من وراء القضبان لكل من يريد أن يعرف قضية الدعاة والدعوة إلى الله عز وجل .

أيها الأحبة ,

لقد حدثت - كما تسامع الكثيرون - حملات متعددة من الاعتقالات كان آخرها في غضون هذا الأسبوع , شملت مجموعة من الدكاترة والمشايخ والفضلاء , كان من آخرهم فضيلة الشيخ الدكتور سفر بن عبد الرحمن الحوالي وفضيلة الدكتور عبد بن حامد الحامد والدكتور محسن العواجي وغيرهم من طلبة العلم والشباب , وقد أكون فردا صغيراً ضمن هذه القافلة المباركة إن شاء الله تعالى .

حقيقة يعلم الله أنني لا أكره مشاركتهم ولا مشاركة غيرهم في هذا الشرف الذي نتوج به رؤوسنا وجباهنا , نعم , لا أكره مشاركتهم لأنني كلما اعتقل شاب من أبناء هذه البلاد المباركة صغيرا أم كبيرا بغير جرم اقترفه وبغير ذنب فعله , شعرت وأنا عاجز على أن

أعمل له شيئا - لأنه ليس هناك مجال للصوت ولا للكلام - شعرت بتوبيخ يجعلني أتمنى أن يكون الأمر علي دون أن يكون على غيري وأكون في موقف المتفرج عليهم , ولذلك فإن مثل هذا العمل يدفع عني وعن أمثالي من الاخوة الدعاة والمصلحين إحراجا كبيرا نواجهه أمام جموع الشباب وغيرهم ممن قد يظنون أننا نتخلى عن قضيتهم , أو أنهم يذهبون بها ويتلقون بعض الأذى , أما نحن فآمنون سالمون في أهلنا وأولادنا . فنحن نقول لهم : نحن معكم في السراء والضراء , ويجب أن نكون قبلكم في كل أمر تتعرضون له أو يتعرض له غيركم . هذا فضلا عما يعلمه الجميع من أنه منذ فترة ليست بالقصيرة , كنا تحت طائلة مجموعة من الإجراءات الظالمة التي شملت الفصل من الأعمال والمنع من الدروس والمحاضرات والخطب والندوات والتسجيلات وغيرها من الأشياء التي هي مجال الدعوة إلى الله تعالى , و وسيلة مخاطبة الناس فيما يعتقد الإنسان ويدين .

نعم إن مثل هذه الأشياء التي حدثت كلها لا نعدها شيئا يذكر بالقياس إلى هذا الطريق الذي سلكناه . الكثير من الاخوة يقدمون أحيانا لوناً من التعزية أو التصبير أو التثبيت . جاءني مرة أحد الشباب من إحدى المناطق - ربما قطع أكثر من 500 كيلومتر - وقال لي : ما أتيت إلا لأقرأ عليك حديث ابن عباس رضي الله عنه : (( يا غلام إني أعلمك كلمات ........ إلى قوله صلى الله عليه وآله وسلم : احفظ الله يحفظك , تَعَرَّف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة , إذا استعنت فاستعن بالله وإذا سألت فاسأل الله , واعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن ينفعوك لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك , ولو اجتمعوا على أن يضروك لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك , رفعت الأقلام وجفت الصحف )) ثم خرج من عندي

ومضى لحـال سـبيله , ولقد كـان لهـذه الكلمـات وقع عظيم , حـتى كأني أسمعها لأول مرة لأنني سـمعتها من إنسـان مخلص يتكلم قلبه قبل لسانه . لكنني أقول لجميع هؤلاء الاخـوة : مـاذا لقينا أصلا حـتى يُطلب منا أن نصـبر أو نحتسب ؟ مـاذا لقينا ؟ في الواقع إن كلما حصل , مهما كـان في نظر النـاس كبـيراً فإنه لا يعنينا في جانبه الشخصي . فلا يعنينا مثلا أن يُـقطع راتب الإنسـان لأن الـرزق من عند الله تعـالى , ولا يعنينا أن يمنع الإنسـان من العمل فـإن مجـال الـدعوة إلى الله واسع رحب لا يتوقف على مجـال بعينه ولا على طريق بذاته . اللهم لا شك أن الحيلولة بين الإنسـان وبين الـدعوة والحيلولة بين الإنسـان وبين مخاطبة الأمة بما يعتقد في قلبه وما يـدين , أن الإنسـان يـرى أن تـرك ذلك وأن السـكوت عليه خيانة للأمانة التي حُمِّلها الإنسـان , بل وخيانة للأمة الـتي تنتظر من دعاتها - بل من جميع أفرادها حـتى ولو كـانوا أفـرادا عـاديين - تنتظر منهم أن يقولوا كلمة الحق , وأن يصـدقوا الله تعـالى وأن يبصـروا النـاس بما يعرفـون كل بحسب وسـعه {{ لا يكلف الله نفسا إلا وسـعها }} , {{ لا يكلف الله نفسا إلا ما آتاها }} . فلا شك أن الحيلولة بين الإنسـان وبين الـدعوة , هو أمر خطـير ولا يمكن السـكوت عليه أو الصبر عليه , أما ما عدا ذلك فهو أمر هين يسير .

ماذا خسرنا باستثناء قضية الدعوة ؟ الواقع أن الإنسـان ما خسر إلا كما قال لي أحد الاخوة " حبوب البندول " التي كان يتعاطاها بسـبب تعب العمل وعنائه ولأوائه , ثم بعد ذلك ارتاح . ثم إن الإنسان يـرى من الناس من الحفاوة والتسهيلات إن ذهب إلى سـوق أو مطـار أو مدرسة أو مؤسسة , شيئا يخشى أن يكون أجـره عجل له في هـذه الـدنيا , وألا يكـون له عند الله تعـالى شـيء ويخشى أن يكـون هـذا من الاستدراج . ويشـهد الله تعـالى أننا نخشى من ذلك على أنفسـنا مما نراه من حرص الإخوان والأحبة , بل وسائر الناس , على تقـديم

ما يستطيعون مع أننا نعتقد وندين أننا لا نستحق ذلك , ولا شيئا منه .

المقصود أننا لم نخسر شيئا فيما يتعلق بأمر الدنيا حتى يأتينا من الإخوة أحيانا نوع من التسلية أو العزاء , وإن كان الصبر مأمورا به على كل حال . بعض الاخوة حدثوني حديث المشفق الخائف بعدما عرفوا أنني أستقبل الضيوف في أوقات الصلوات في مسجدي ويوم الخميس ليلة الجمعة من كل أسبوع - ما لم أكن مسافرا أو مشغولا - ويتجمع عندي أعداد من الشباب من مناطق مختلفة , يزيدون أو ينقصون , ومن الطبيعي حيث يجتمعون أننا لن نقابل بعضنا بعضا ونتحدث بلغة الإشارات أو بلغة الصمت ! سأتحدث ويسمعون , وسأجيب حين يسألون , هذا أمر طبيعي وحق مكفول لكل إنسان , لا أقول في شرائع السماء كلها , بل وفي قوانين الأرض أيضا , مع أن المرجع هو إلى شريعة الله تعالى الخاتمة المنزلة على محمد عليه الصلاة والسلام . فعدد من الإخوة كانوا يشفقون علي , يقولون : نخشى أن ينالك من ذلك ضرر , وأقول للإخوة الآن علانية كما كنت أقول لهم سرا من قبل حين يسألونني : إنَّ تعرض الإنسان للسجن أمر طبيعي , فوالله يوم أوقفت عن الدروس والمحاضرات , وكنت قبل الإيقاف أقول بأنه أمر طبيعي أن يوقف الإنسان - وإن لم يكن شرعيا ولا مقبولا - لكن من الطبيعي أن يتعرض أي داعية أو مصلح , أنا أو الشيخ سفر أو غيرنا من الدعاة - نسأل الله أن يجعلنا كذلك - أن نتعرض لمثل هذه الأمور . ثم قلت ولا زلت أقول بعدما حصلت هذه الجلسات في المنزل , أنني كنت واضعا في اعتباري أنه ربما يترتب على ذلك ما يترتب عليه من آثار .

أي قيمة وأي معنى لوجود الإنسان إذا كان من غير رسالة يحملها ويؤديها ؟! هب أنك حر طليق , تأكل وتشرب وتنام وتذهب وتجئ

ولكنك لا تقوم بأداء المسؤولية العلمية والشرعية والاجتماعية التي تشعر أن الله تعالى حمَّلك ووضعها على عاتقك بحسب ما أعطاك {{ وهو الذي جعلكم خلائف الأرض ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم فيما آتاكم إن ربك سريع العقاب وإنه لغفور رحيم }} .

إذن ليس في الأمر غرابة والسجن أمر طبيعي مألوف , ويجب أن نضع في اعتبارنا يا كل المخلصين ويا كل الصادقين ويا كل دعاة الإصلاح – سواء أسروا أو أعلنوا - يجب أن نضع في اعتبارنا أن الفساد المتجذر في مجتمعنا وفي جميع مجتمعات المسلمين بنسب متفاوتة , فساد يضرب برواقه على كل مجالات الحياة بدون استثناء , فساد في مجال التعبد , فساد في مجال الأخلاق , فساد في مجال السلوك , فساد في المعاملات , فساد في الاقتصاد , فساد في السياسة , فساد في الإعلام , فساد في التعليم ؛ أن هذا الفساد الشامل يتطلب إصلاحا شاملا أيضا . ومن الخطأ أن نتصور أن الإصلاح سيتم عن طريق مجرد الكلام أو مجرد أن نحمل قلوبا طيبة أو أن نحمل تصورات سليمة فقط , دون أن نتحمل في سبيل الكلمة التي قلناها أو التصور الذي حملناه ولو بعض الأذى أو بعض العناء . إن هذا الفساد الموجود , والذي لا يشك فيه أحد على الإطلاق وإن اختلفت الطرق في إصلاحه , هذا الفساد له أنصار كثيرون وله متحمسون وله سدنة وله أرباب من البشر يرون بقاءهم في بقائه ووجودهم في وجوده وأن زواله كشف لهم , ولذلك فهم ضد كل مصلح يسعون للتأليب عليه ويحاربونه بكل وسعهم ليلا ونهارا , سرا وجهارا , ولا لوم عليهم في ذلك , فهذه سنة الله تعالى . أقول لا غرابة وإن كانوا ملومين لمخالفتهم شريعة الله ومخالفتهم الحق والله تعالى يقول : {{ وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا من المجرمين }} , ويقول سبحانه : {{ وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا

شياطين الإنس والجن يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القـول غـرورا }{ .

إذن الصـراع بين الحق والباطل , بين الإصـلاح والفسـاد , بين الهـدى والضـلال , بين العـدل والظلم , هـذا صـراع أزلي ولا بد أن نـوقن ونعتقد بـأن أي داعية إصـلاح يحتـاج إلى أن يـبرهن على صـدقه وإخلاصه وأنه لا يريـد مطمعا دنيويا وأنه صـادق في دعوته وأنه مستعد أن يبذل ويضحي في سبيلها , لا بد أن يبذل ما يكون عربونا وبرهانا للناس فيكون ذلك شاهد عدل على ما سمعوه بآذانهم . ربما يسمع النـاس كلاما جميلا معسـولا في الأشـرطة أو في الـدروس أو المحاضـرات أو في الـبرامج أو في النـدوات أو غيرها , وربما يكـون الكلام بحد ذاته حلوا , معسولا , مؤثرا , مقبولا , لكن ما هو البرهـان على أن هذا المتكلم صـادق فيما يقـول ؟ ما هـو البرهـان على أنه مخلص ؟ ما هـو البرهـان على أنه متجـرد عن الهـوى ؟ ما هو البرهـان على أنه بقد وقـدر الكلام الـذي يقوله ؟ البرهـان هو أن يعـزز قوله بفعله , وأن يصـبر , ويصـابر, وأن يتحمل مسـؤولية الكلمة التي قال , مهما كلفـه ذلك من تضـحيات . فينبغي أن نضع هـذا في بالنا , وما لم يكن الأمر كذلك , فإنه لا يتصور أبدا أن يقع إصلاح أو تعديل حقيقي .

إننا نعلم جميعا أن إصلاح خلل جزئي في مكـان معين , في مدرسة , أو مؤسسة , أو في أي وضع من الأوضاع مهما كان أمرا يسـيرا , هـذا الإصـلاح يتطلب مجهـودا ضـخما وقد ينجح أو لا ينجح , فكيف نتصور أن إصـلاح أوضـاع الأمة كلها في مجالاتها ومناشـطها المختلفة أنه لن يكلفنا أكـثر من كلمة نقولها أو ورقة نكتبها أو برنـامج نقدمه أو شـريط نسـجله ؟! هـذا لا يمكن أن يكـون . إننا نعلم جميعا أيضا أن الغش والفساد محرم في كتـاب الله تعـالى , وفي حـديث النـبي

صلى الله عليه وآله وسلم حتى في أصغر الأمـور ( رأى النـبي عليه السـلام رجلا يـبيع تمـرا فلما قلبه وجد أن أسـفل التمر قد أصـابه المـاء فقـال: ما هـذا يا صـاحب الصـبرة ؟ قـال : أصـابته السـماء يا رسول الله , قال عليه الصلاة والسلام : من غشـنا فليس منا ) صحيح مسلم . فإذا كان الغش في زنبيل من التمر أو غيره حـرام , بل يصل إلى حد أن يهدد الرسـول صـلى الله عليه وعلى آله وصـحبه وسـلم فاعله بأنه يخرج عن المؤمنين وعلامـاتهم و أوصـافهم , فما بالك إذا بـدأت الأمة كلها تمـارس الغش في مؤسسـاتها ومجالاتها المختلفة وجوانبها كلها , فحينئذ يكـون السـكوت عن ذلك سـكوتا عن الحق وتراجعا وضعفا وخـورا . و لا يمكن أن ينجـوا من العـذاب قـوم هـذا شأنهم إلا أن يصدعوا بالحق ويصيحوا في الناس , حينئذٍ تكون النجاة بـإذن الله تعـالى للجميع , كما قـال الله تعـالى : {{ وما كـان ربك مهلك القرى بظلم وأهلها مصـلحون }} فـإذا كنا مصـلحين نجونا من عذاب الله تعالى , وإلا ألم بنا العذاب وحلت بنا الكارثة .

أيها الأحبة ...

يقول الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسـلم : {{ قل ما أسألكم عليه من أجر }} ماذا يريد الدعاة ؟ هل طلبـوا مـالا أو منصـبا أو وظيفة أو رتبة ؟ كلا والله , و إنـني أقـول - والأمر يسـتدعي أن يقـال هـذا الكلام وهو في نفوسـنا منذ زمن بعيد لكن آن الأوان أن يقال - والله إن هـذه الأشـياء كلها ليس لها عنـدنا من وزن ولا قيمة , وليست في برنامجنا ولا في اعتبارنا ولا ميزاننا كأشـخاص , فلا يعنينا هـذا الأمر قط , ولو أراده الإنسـان لعـرف الطريق إليه فـالطريق إليه سـهل وغـير مكلف ولا مـؤذي , بل الأمر كما قال الله تعالى : {{ قل مـا أسـألكم عليه من أجر }} , {{ قل

لا أسألكم عليه أجرا }} . فنحن ندعو إلى إصلاح أحـوال النـاس كلها , نــدعو إلى إتاحة المجــال للــدعوة إلى الله تعــالى والكلمة الحــرة الصـــادقة المنضـــبطة بضـــابط الشـــرع , يقولها خطيب أو داعية أو صحفي أو كاتب أو شاعر أو معلم أو موظف , نـدعو إلى أن يتمكن الناس من التعبير عن الحق الذي يعتقدون , والمشـاركة في الإصـلاح لهـذه الأمة الـتي تحيط بها الأخطـار والفتن من كل جـانب . إنه لم يعد يخفى على أحد أن مجتمعنا هاهنا ومجتمعـــات المســـلمين عامة أصبحت جزيرة في بحر متلاطم , والأخطار كبيرة جـدا . واليـوم كنت أقرأ في بعض الجرائد أن الـرئيس الأمـريكي يسـتقبل من يسـميهم ببذور السـلام , وهم مجموعة من أطفـال وصـبيان العـرب واليهـود , يزيـدون على مائـة , أُخـذوا في جولة طويلة في أمريكا يربـون على مسخ جميع ألوان التميز والاستقلال والاعتقاد والانتماء , ليكونــوا قوما – فيما يقولـون وفيما يعلنـون - " ليس بينهم عـداوة " كما يزعمـون ويعــبرون . هم بــذور الســلام وســيكون العــداء كما يعــبر الــرئيس الأمريكي , سـيكون العـداء بينهم في المسـتقبل مجـرد ذكـرى قديمة نســوها ومضت عليها الأيــام والليــالي . هــذا جــانب : جـانب محاولة تحويل المنطقة إلى سوق للبضائع اليهودية , سواء كانت هذه البضائع بضـائع فكرية أو ثقافية أو إعلامية أو أمنية أو تجارية أو غـير ذلك . جانب تحويل بلاد المسلمين إلى مجرد أتبـاع ضـعفاء لا يُعلم بهم ولا يُقام لهم وزن بهـذا المعسـكر أو ذاك , بهـذه الدولة أو تلك . جـانب تحويل المسـلمين وجعلهم عبـارة عن قطيع يسـاق إلى مرعـاه , ولا يدري إلى أين يسـاق , وليس من حق الواحد أن يعـبر ولا أن يتكلم ولا أن يبــــــدي رأيه , بل عليه أن يبصم على كل شئ , ويؤيد كل شيء , ويوافق على كل شيء , وألا يعترض , وإلا فإنه حينئـذٍ يكـون قد وضع نفسه تحت طائلة العقاب والتأديب والتشهير والأذية وتسلط الأجهـزة الأمنية , إلى غـير ذلك مما هو معـروف . هـذا الطريق صد

عن سبيل الإصلاح , يراد به وضع العراقيل و العقبات أمام أي إصلاح , سواء كان إصلاح فرد أو تيار , بحيث أن الناس يرون أن الطريق صعب وشاق فيرجعون - كما يقال - من أول الدرج ومن أول السلم . إذن المهمة هي مهمة إصلاح أوضاع الناس , حتى أوضاع الناس الدنيوية .

**موضوع المال** , الكثيرون يتحدثون في مجالسهم وفي خصوصياتهم عما يشعرون به من فقدان العدل الاجتماعي , ومن سحق كثير من الطبقات وأنهم لا يجدون حقوقهم في المال العام , ولا يجدون حقوقهم في الوظائف , ولا يجدون حقوقهم في المخصصات , ولا يجدون حقوقهم في الفرص التي هي في الأصل حقوق مشتركة للأمة يتساوى فيها الجميع . يشتكي من ذلك المزارع , ويشتكي منه الموظف الصغير , والمتوسط , ويشتكي منه الطلاب , ويشتكي منه المتخرجون , ويشتكي منه ألوان وأصناف من الناس , ويشتكي منه كثير من رجال البادية , ويشتكي منه كثير من أهل المناطق المختلفة المتباينة وغيرهم , الجميع يتحدثون عن ذلك أذلاء . من هو المستفيد من أن تظل هذه الأشياء مجرد مشاعر دفينة في النفوس تتحول إلى أحقاد وإلى بغضاء وإلى تدمير للمجتمع دون أن تعطى فرصة على الأقل للتنفيس ؟ ماذا يضرك أن تعطي الناس مجالا لينفسوا عما في أنفسهم ؟ فإن الإنسان إذا تحدث ربما شعر أنه وضع عن ظهره حملا ثقيلا وعبئا جليلا ينوء به , وماذا يضرك أن يتحدث الناس ؟ بل ماذا يضرك أن يتحدثوا ويؤخذ من كلامهم النافع المفيد ليكون نبراسا ؟ فإننا لا نعتقد أن أحدا يملك أن يصلح الأمة وهي نائمة , بل ولا أحد يستطيع ذلك لو أراده فضلا عن أنه لا يمكن أن يريده إلا دعاة الإصلاح الذين يشهد الناس لهم بذلك . أما

مجرد أن أدعي أنا أو غيري ذلك فهذه دعوى لا تكذب ولا تصدق إلا من خلال الواقع الذي يمكن أن يحكم لها أو عليها .
إذن الـدعاة إلى الله تعـالى يـبرؤون من جميع المصـالح والحظـوظ الشخصـية , بل هم يتنـازلون عن حقـوقهم الخاصة من مرتبـات أو وظـائف أو أعمـال أو أمـوال , فـإنهم لا يطـالبون بها ولا يـرون أنها بالنسبة لهم قضية تسـتحق أن يثـار حولها كلام قط , وليس يضـرهم أيضا ولا يــزعجهم وليست قضــيتهم أن يوجد من يعتــدي عليهم أو يوجد من يؤذيهم أو من يسجنهم أو من يتجسس عليهم أو يطاردهم , هـذه أيضا ليست هي قضـية الـدعاة أبـدا . إنما الـدعاة يطـالبون بقضـــــية تخص الأمة وتخص البلاد من شـــــرقها إلى غربها , تخص المنطقة الجنوبية كما تخص المنطقة الشـــــــمالية وتخص المنطقة الشـرقية كما تخص المنطقة الغربية كما تخص الوسـطى . بل أقـول إنها تخص هذه البلاد وتعم كل مسـلم يعنيه أمر الإسـلام والمسـلمين في مشارق الأرض ومغاربها . القضية هي قضية الامتثال بشريعة الله تعالى التي جاءت بالإصلاح وجاءت بالعدل وجاءت بالمسـاواة وجـاءت برفع الظلم وجاءت بتحقيق المطالب الإنسـانية وجـاءت بحفظ كرامة الإنسـان وحقه , فلا يُعتـدى عليه ولا يُظلم ولا يُبخس حقه ولا يُهضم ولا يُتجسس عليه ولا يوقف بغـير بينة وبغـير نص ولا يحقق معه إلا بنص أيضا , ولا يحق لأحد أن يتجسس عليه أو يتلصص على مكالماته أو خصوصياته أو مراسلاته أو محادثاته إلى غـير ذلك , ليس الـدعاة بل الأمة كلها , كل إنسـان , كل مسـلم , كل مـواطن من المسلمين له هذا الحق . ولذلك فليست قضية الدعاة قضية شخصية وإنما هي قضـــية تهم الأمة كلها من أولها إلى آخرها , أما الـــدعاة فقد آن الأوان أن يعلنوها للنـاس كلهم صـريحة , العـدو والصـديق , القريب والبعيد , الحـاكم والمحكـوم , من يعـرفهم ومن لا يعـرفهم : {{ لا نســألكم عليه من أجر }} {{ لا نســألكم عليه مــالا }} إن

رأيتمونا يوما من الأيام طلاب مناصب أو طلاب جاه أو طلاب شهرة أو طلاب مـال أو طلاب وظيفة فـاحثوا في وجوهنا الـتراب واعتـبروا هذا آية على عدم مصداقية ما نـدعو إليه . نحن دعـاة حق نـرى أنه يجب أن نــــدعو إليه الجميع ويجب أن يلتف عليه الجميع ويجب ألا تسـقط هـذه الراية بحـال من الأحـوال لأنها الراية الـتي تسـعى إلى إعادة الحقوق إلى أهلها سواء كانت هذه الحقوق حقوقا معنوية مثل كون الإنسان يعرف ما يخصه فهو فرد من الأمة يعرف لمـاذا حصل كذا ولماذا اتخذت الأمة هذا الموقف , لمـاذا حـاربت ولمـاذا سـالمت ولماذا صادقت هذا ولماذا عادت هذا وما هي الأشـياء الـتي سـتفعلها ؟ هو فـرد من الأمة من حقه أن يعـرف ما يخصـه , ولا يجـوز أبـدا أن يعتم عليه أو يُضــــلل أو يُعَمَّى بحيث يعتــــبر أنه قاصر العقل , قاصر الفكر ليس على مســـتوى أن يـــدرك أو يفهم لـــذا يجب أن تكـون الأمـور في ظنهم أسـرارا وطلاسم لا يعرفها إلا نفر قليل أما البــــاقون فمن حقهم أن يقرؤوا مثلا في الجرائد أو يســــمعوا في الإذاعة وما قرؤوا أو سـمعوا فليعتـبروا أنه هو الكلام الـذي يجب أن يقولوه حتى لو لم يؤمنوا به ويصدقوه ويجب أن يـرددوه ويجيبـوا به !! إذن أين عقول الأمة , أين أفكـار الأمة , أين المختصـون , بل أين الآلاف المؤلفة من الدكاترة والفضلاء والمختصين وأسـاتذة الجامعـات والطلاب المتخـرجين الـذين بـذلت أمـوال طائلة من أجـل إعـدادهم وتعليمهم وتخريجهم ؟! فما معنى بعد ذلك أن يحادوا ويحصروا ويقال لهم إن عقولكم في إجازة مفتوحة , ليس من حقكم أن تفهمـوا ولا أن تسـألوا ولا أن تناقشـوا ولا أن تشـاركوا ولا أن تشـيروا . هـذه مصـادرة لحقـوق معنوية كبـيرة للأمة لأن الإنسـان إنسـانيته ليست بجسمه كما قيل : " فأنت بالروح لا بالجسم إنسان " وقول الله أبلغ : {{ ولقد كرمنا بـني آدم وحملنـاهم في الـبر والبحر ورزقنـاهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا }} فالله تعالى كرم

الإنسان بالعقل , فلماذا نجعل هذا العقل في إجازة مفتوحة ونفترض أن جماهير الناس ليست على مستوى أن تفهم الأحداث ولا أن تشارك فيها ولا أن تشير ؟ من أين جاء هذا المعنى الغريب عن الأمة التي رباها النبي صلى الله عليه وآله وسلم على المشاركة ؟ إن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يصعد المنبر فيتحدث مع الناس في أي قضية من القضايا . يصعد المنبر فيتكلم مثلا في حادث الإفك , يصعد المنبر فيقول أشيروا علي أيها الناس , في قضية بدر , في قضية أحد , في المعارك التي تخوضها الأمة و في المواقف المختلفة , حتى في قضية توزيع المال فلما تكلم الناس قام النبي صلى الله عليه وسلم وقال: ( يا معشر الأنصار ما مقالة بلغتني عنكم ؟ ألم أجدكم ضلالا ..... إلى آخر الحديث المعروف وهو في الصحيحين ) فكان النبي صلى الله عليه وسلم ثم أصحابه وخلفاؤه الراشدون والخلفاء المسلمون , كانوا يعتبرون الأمة مسؤولة معهم يحتاجونها في حال الشدة فلذلك كانوا يشركونها في هذه الأمور ولا يصادرون رأيها أو قناعتها . نعم لابد من ضوابط لذلك ولابد من قنوات ولكن أين هذه القنوات وأين هذه الضوابط وأين هذه الفرص التي تجعل للناس - ولو نخبة من الناس - مجالا أن يعبروا عن رأي أو اجتهاد قد ينفع الله تعالى به وقد يكون سببا في دفع أذى أو ضر عن البلاد والعباد . إن الله تعالى لم يجعل الصواب حكرا على فئة بعينها ولا شخصا بذاته حتى ولو كان عالما جليلا أو ذكيا نبيلا أو عبقريا فذا أو شهيرا خطيرا , فإنه قد يوجد الحق والرأي السديد عند عامة الناس فضلا عن خاصتهم .

إذن هذه الحقوق التي يمكن أن نعبر عنها بالحقوق المعنوية إضافة إلى الحقوق المادية التي يتكلم الناس كلهم عنها من مزارعين وتجار ومتوسطين وموظفين وغيرهم ممن حرموا من كثير من حقوقهم ,

أو سـدت في وجههم أبـواب الوظيفة , أو سـدت في وجههم أبـواب العمل الحر الذي يسددون به ديونهم أو ينفقـون به على أزواجهم أو على أولادهم أو على الأقل ينفذون به ما أباح الله تعـالى وأحل لهم {{ وأحل الله البيع وحرم الربا }} , فلمـاذا نمنع هـؤلاء من ذلك في الـوقت الـذي تجد الكثـير منهم قد يجـدون أنفسـهم محتـاجين أو مضـطرين ( ربما فيما يعتقـدون) إلى أن يسـتدينوا من البنـوك بفوائد ربوية والله تعالى يقـول : {{ وأحل الله الـبيع وحـرم الربا }} لكنهم يـرون أنه ليس لهم مخـرج إلا ذلك , والواقع أن المخـارج المباحة كثيرة . على كل حال هذا الموضوع باختصار شديد هو قضـية الـدعاة , قضـية الإصـلاح الشـرعي , الـديني , الـدنيوي . نحن نعتـبر الإصـلاح الـدنيوي جـزء من الإصـلاح الـديني , فالـدين ما جاء ليحكم المسـجد فقط , الدين جاء ليعلمنا أن الاقتصـاد ينبغي أن يكـون بصـورة معينة وأن المال ينبغي أن يوظف بطريقة صحيحة , وأن الصناعة ينبغي أن يـبرز فيها المسـلمون والإعلام و التعليم و الحيـاة الاجتماعية , الـدين جاء ليحكم الحياة . فالـدين جـاء ليعلم الإنسـان من يـوم يولد : كيف يُسمَّى المولود , بل قبل ذلك عملية اللقـاء والاتصـال بين الـزوجين كيف تتم من أجل ضمان صلاح المولـود بـإذن الله تعـالى كما أرشد النبي صلى الله عليه وآله وسلم وإلى أن يوسد الإنسان في قبره , أيضا الدين جاء بتحديد الطريقة , وما بين ذلك من حيـاة الفـرد رجلا أو امرأة , كبيرا أو صغيرا , طفلا أو أبا . هداية القرآن جاءت لتهيمن على الحيـاة , لا ليفتتح البرنـامج بـالقرآن ويختم به فحسب , ولا من أجل أن تـزين به مكتباتنا , ولا من أجل أن تـزين به مسـاجدنا , ولا من أجل أن نقرأه فحسب - وإن كان ذلك مطلوبا - ولكن جاء حـتى نتمثل هدايته , تميزا لأمتنا في كل مجالات الحياة , فيـوم أن تتفـاخر الأمم بأديانها ومـذاهبها وكتبها وتراثها فـإن تاريخنا هو القرآن الـذي أنزله الله تعالى رحمة وشفاء وهـدى ونـورا وبيانا لنا , فأعرضـنا عنه

أيما إعراض واكتفينا بتلاوته إن تلوناه كما قال الحسن البصري رحمه الله : ( نزل القرآن ليعملوا به فاتخذوا تلاوته عملا ) . نحن نـدري أن الإصلاح يحول دون شهوات الكثيرين من الناس , وأن طريق الإصـلاح ليس مفروشا بالورود ولا بالرياحين بل هو طريق مفروش بالأشـواك والمتاعب والمصاعب , لكن لمـاذا تلومـون قوما اختـاروا هذا الطريق ورأوا أن يسلكوه وسألوا الله تعالى أن يثبتهم عليه حتى النهاية وهم يحرصـون على الاعتـدال بقـدر المسـتطاع ومراعـاة الحكمة والقـول الحسن بقدر ما يملكـون ولا يعصـمون أنفسـهم ولا يـبرؤون أنفسـهم من أن يكونوا كغيرهم عرضة للاجتهاد الذي يخطئ ويصيب في قـول أو فعل ورحم الله امرأ أهدى إلينا عيوبنا , بل حتى العدو إذا أهـدى عيبا فيجب أن نفرح بذلك وكما قيل:

عداتي لهم فضل علي ومنة ***** فلا أبعد عني الرحمن الأعاديا

هم بحثوا عن زلتي فاجتنبتها ***** وهم نافسوني فاكتسبت المعاليا

وأقـول إن مهمة الإصـلاح ليست وقفا على الـدعاة الشـرعيين , لا , يجب أن تكـون مهمة الإصـلاح شـأننا جميعا : أسـاتذة الجامعـات , المختصون سواء كانوا اقتصاديين أو تربويين أو في مجال الفيزياء أو في مجال الطب أو في مجال الهندسة أو في مجال التصنيع أو في أي جـانب من جـوانب الحيـاة , إعلاميين أو معلمين أو غـير ذلك . يجب أن ندري أن الإصلاح مهمة الجميع ومسـؤولية الجميع ومجـالات الحياة المتنوعة وميدانها الفسيح يتطلب كوادر ضخمة من أبنـاء الأمة المخلصين الذين يملكـون التصـور السـليم بسـبل الإصـلاح , ويملكـون العزيمة والإرادة القوية بتنفيذ هذا التصور بقـدر المسـتطاع وبقـدر ما تسمح به الظروف .

أيها الاخوة ..

ليس عنـــدنا سر وليس عنـــدنا أمر خفي , بل كل ما لـــدينا قلنـــاه بالأشرطة وتحدثنا فيه على الملأ علانية وهذا هو سبب ما قـد نجـده ونلقـاه من المضـايقات لأننا قلنا ما نعتقـد . نعم , حاولنا أن نتلطف بالأسلوب ونهذب العبارة ولا نهجم على الموضوع بشكل مباشر وفق اجتهادنا الخاص , لكننا قلنا كثـيرا مما نحب أن نقـول ومما نعتقد أنه يجب أن يقال ونسأل الله تعـالى أن يثبتنا جميعا بـالقول الثـابت في الحياة الدنيا والآخرة .

أيها الاخوة ..

إنني أتعجب من حالنا وحال النـاس في هـذا الزمـان , العـالم اليـوم كله مفتوح ثقافيا فالحادثة تحـدث بالشـرق وتسـمع بـالغرب , يعطس الرجل في واشنطن فيشـمته آخر من موسـكو , العـالم قرية واحـدة كما يقال . أصبح هناك ثورة في الاتصالات , فلمـاذا - والعـالم مفتـوح ثقافيا - نقف نحن في مكاننا وكأننا لم نستفد من حركة التاريخ ومن التغيرات الجذرية والجوهرية التي وقعت في العالم كله ؟! لقد انتهى عالم بأكمله في إمبراطورية الاتحاد السـوفيتي البائـدة , عـالم بأكمله كـان يقـوم على الكبت والإرهـاب وحكم الـ ( K.J.B ) وعلى إلغـاء الدساتير وعلى تعطيل جميع الأمور باعتبار أن الحـزب الواحد تتلخص فيـه الحيـاة كلها . لقد انتهى ذلك العـالم ومضى إلى غـير رجعة , ودول العـالم كلها اليـوم أصـبحت تتفـاخر في كسب رضى شـعوبها وكسب قناعتها وأنها تحقق لهم مطـالبهم وتحـادثهم بشـكل واضح وصريح , ويرى هؤلاء أن من حق الأمة عليهم أن تتحـدث عن بينة . حتى إنـني أقـرأ هـذا اليـوم خـبرا في الجريـدة عن أن رئيس فرنسا صحته تتدهور وأنه حتى الآن لم يصـدر تقريرا وكـان من المتوقع أن يصدر بتاريخ كذا وكذا تقرير رسمي عن صـحة الـرئيس للأمة , حـتى قضـية شخصـية إن كـان لها أبعـاد تهم الجميع فهم يـرون أنفسـهم

ملزمين أن يصدروا تقريرا للأمة له قـدر لا بـأس به من المصـداقية وألا تحجب الحقائق عنهم بحال من الأحوال , فضلا عن الانفتاح الذي نشـهده قريبا وبعيـدا عنا . لمـاذا نظل نحن وكأننا ضد حركة التـاريخ وضد طبـائع الأشـياء ؟ لمـاذا نجعل الحيـاة أسـرارا غامضة لا يفهمها النـاس مع أنها في الواقع أمـور بسـيطة ويسـيرة ؟ نعم , قد يكـون هنـاك أمـور خاصة لا يفهمها كل أحد , هـذا شئ طـبيعي حـتى في مجـال الأمـور الشـرعية , لكن هـذا لا يمنع أن نبسط ونسـهل بعض الأمــور ليفهمها عامة النـــاس وجمهـــورهم . تعليم الأمة الأحكـــام الضرورية الـتي لا بد أن تفهمها , وقل مثل ذلك في جـوانب الحيـاة الأخرى . اليوم التعليم نفسه قد يعطي الطالب مبـادئ عامة – حـتى ولو كـان متخصصا – قد يعطى الطـالب مبـادئ عامة في كل ألـوان العلوم الأخرى باعتبار هذا قـدر لا بد منه . فلمـاذا لا يُفعل هـذا في الأمور العملية والأمور الواقعية وأوضـاعنا المالية وعلاقاتنا وخصوصياتنا وأمورنا وأحوالنا وحاضرنا ومستقبلنا ومشكلاتنا والتحديات التي تواجهنا , لمـــاذا هـــذه الأشـــياء لا تســـهل و تبسط للنـــاس حـــتى يفهموها ويسـتطيعون أن يتجـاوبوا معها ويشـاركوا فيها ويـدركوا أن قضـاياهم فعلا مطروحة بشكل واضح ؟

**ماذا نريد وبماذا اتهمنا ؟؟**

هذا سؤال لا بد أنه سيطرح وسيتساءل عنه الكثـيرون , فـأقول لكل من يسأل : والله الذي لا إله غيره أنني لا أعلم تهمة إلا أننا نتحدث وفق القناعات الشرعية المتكونة لدينا بالصورة التي لا بد أن أكثر - أو كل من يسـمع هـذا الكلام - ربما سـمع شـيئا منها قل أو كـثر , نتحـدث في توجيــه الأمة , نتحـدث في قضـاياها , نحـاول أن نكـون مدافعين بقدر ما نستطيع مع أن أصواتنا ضعيفة وكلماتنا قليلة , لكن نحاول أن نكون مدافعين عن بعض حقـوق الأمة , نحـاول أن نصـحح

ما يمكن تصحيحه , نحـاول أن نـدفع عقـاب الله تعـالى وعـذاب الله تعالى الذي لا بد أن ينزل بهذه الأمة إذا لم تستدرك نفسها وتصحح أوضاعها – وهذا هو المعروف وهذه هي السنة الإلهية - ليس شــرطا أن تكون نارا تنزل من السماء وليس شرطا أن يكـون بركانا يخـرج من الأرض , العـــذاب الإلهي قد يكـــون أزمة اقتصـــادية تخنقنا وأنتم تســمعون الآن التقـارير في الشــرق والغــرب عن الأوضـاع المتردية لدول الخليج واقتصادها وربما يتضـرر الصـغار قبل الكبـار . قد يكـون العقاب الإلهي أن يلبسنا الله تعالى شـيعا ويـذيق بعضـنا بـأس بعض ويسلط بعضنا على بعض فنعود كما كنا أمما وشــعوبا وقبائل وأحزابا بدلا من أن تتعارف وتتآلف وتتآخى في إخاء الدين والإيمان والإسلام تتحول إلى أمم يحارب بعضـها بعضا ويبغض بعضـها بعضا . قد يكـون العقـــاب الإلهي  شـــيئا آخر لا يخطر في بالنا الآن ولا نتصـــوره قد يسـلط الله علينا عـدوا من سـوى أنفسـنا فيأخذ بعض ما في أيـدينا كما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم إذا وقعت المنكرات والمعاصي ولم يوجد من ينكرها أو يغيرها . إن المنكرات المعلنة لا بد أن تنكر بصوت جهوري علني حـتى يعلم النـاس أن الـدين لا يرضـى ذلك ولا يقره وأن أهل الدين لا يتحملون مسئولية هذه الأشـياء , لا يتحملـون مســؤولية الظلم الــذي يقع أيا كــان مصـــدره وأيا كــان موقعه , لا يتحملـون مسـئولية مصـادرة حقـوقهم الخاصة , لا يتحملـون مسـئولية الحيلولة بينهم وبين ما لهم من الفرص والوظائف والأعمال والحقوق . لا بد أن يكون الإنكار علانية في هـذه الأمـور المشـهورة المعروفة التي لا تخفى على أحد كائنا من كان .

ولا شك في هذا , وهذه هي الأشياء الـتي حـدثونا فيها لما اسـتدعينا إلى وزارة الداخلية قبل سنة أنا وفضيلة الشيخ سفر الحــوالي وكتبنا في ذلك خطابا للشـــيخ عبد العزيز بن بـــاز , لم يكن من أمر يوجه إلينا إلا أننا تكلمنا مرة عن الربا وأنكرناه , وتكلمنا مـرة عن السـلام

مع اليهـود واسـتنكرناه , وتكلمنا مـرة عن بعض المظـالم الاجتماعية الموجــودة وأنكرناها , تكلمنا مــرة عن تســلط بعض الأجهــزة على الناس وأنكرناه , وتكلمنا عن حقوق المسلمين وما لهم وأنه لا يجـوز ترويعهم ولا أذيتهم وما شابه ذلك من الأمـور الـتي جـاء بها الـدين ولا ينكرها أحد من العقلاء , فهــذا هو ما اتهمنا به . يبقى أن هناك من قد يكون لهم تهويشـات أو تشويشـات لأني أعتقد أن هنـاك من سيقولها ممن يريد أن تضل الأمة في صمت تام فإذا تكلم أحد قال يريد شــيء !! يريد ســلطة , يريد منصب , يريد حكم , وهــذا ليس أمرا جديدا تواصوا به , بل هو أمر قديم {{ مـا يقـال لك إلا ما قد قيل للرسل من قبلك }} , فرعــون قــال مثل هــذا لموسى : {{ و تكون لكما الكبرياء في الأرض }} و قريش قالت هذا للرسول صلى الله عليه وآله وسلم : {{ إن هـذا لشـيء يـراد }} . إذن كل داعيـة من الســهل بــأن يتهم والتهم جــاهزة معلبة , ممكن أنت تتهم و أنا أتهم و الثـاني يتهم و الثـالث كـذلك والأمر مفتـوح وما هنـاك رقيب على أفــواه النــاس وفي مثل هــذا المجــال الأمر واسع . لكن يبقى السؤال إذا كان هؤلاء يقولون شيئا فليعلنوه للنـاس إن كـان عنـدهم أدلة أو وثـائق أو عنـدهم شئ يـدل على أننـا نريد أكـثر من دعـوة الإصـلاح وأكـثر من محاولة تعـديل العـوج الـذي يتفـاقم و يشـتد في الأمة . إذا كـــان هنـــاك شئ من ذلك فنحن نطلب بأن يـــبين للأمة ليعرفه الخاص و العام و يكون الناس على بصيرة من أمرنا .

أيها الاخوة ..
ليعلم الكل أننا – و أسـتغفر الله ثم أسـتبيح اخـواني دعـاة الاسـلام عذرا إذا تكلمت بلسـانهم في هـذه القضـية – أن دعـاة الإسـلام هم دعاة أمن وسلام , ونحن دعاة وحدة وأمن واستقرار وسلام ولا يحق لأحد مهما كان أن يدعي أنه أحرص على الأمن وعلى الوحدة وعلى

السلام من دعاة الإصلاح . نعم , قد يختلف الأسلوب , فنحن أسـلوبنا وطريقتنا وعقيـــدتنا أنه من أجل المحافظة على أي نعمة أو خـــير حبانا الله تعالى بها ومن أجل طلب المزيد ومن أجل مدافعة عقـاب الله , يجب أن نكـــون جميعا أيـــدي تغسل هـــذا المجتمع , تصـــحح أوضــاعه , تســتدرك عليه أولا بــأول , تنكر المنكر في وقته , تعمل على الإصلاح ولو أدى الأمر إلى نوع من الضغوط , وعلينا الاسـتمرار والإصرار والصبر والمصابرة حتى يقضي الله أمرا كان مفعولا وحــتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين . نعم , نعتقد أن هـذا هو السـبيل الوحيد ولا ســبيل غــيره لحفظ أمن هــذه البلاد وحفظ اســتقرارها وحفظ وحدتها . أليس الجميع يؤمنون بـالقرآن ويرتضـونه حكمـا بينهم ؟ إذن فلنسمع : يقول الله تعالى لنبيه صـلى الله عليه وسـلم : {{ هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين وألف بين قلوبهم لو أنفقت ما في الأرض جميعا ما ألفت بين قلـــوبهم ولكن الله ألف بينهم إنه عزيز حكيم }} فنصت الآية على أن الله تعـــالى هو الــــذي ألف بين المؤمنين بالإيمان , والرسول نفسه عليه الصلاة والسلام يقـال له لو أنفقت ما في الأرض جميعا ما ألفت بين قلـــوبهم , فنقـــول لكل إنسان , لكل تاجر , لكل ثري , و لكل حاكم , لكل عـالم , نقـول له كما قال الله لرسـوله عليه السـلام : لو أنفقتم ما في الأرض جميعا ما ألفتم بين قلوب النـاس , إنما يؤلف بين قلـوب النـاس بالعـدل , يؤلف بين قلوب الناس بالإيمان , يؤلف بين قلوب النـاس بالصـدق , يؤلف بين قلوب الناس بالمصـارحة , يؤلف بين قلـوب النـاس بحفظ حقـوقهم , يؤلف بين النـاس بمشـاورتهم , يؤلف بين قلـوب النـاس بالصبر عليهم , وحسن التعامل معهم .

مطلب آخر .. قضية الأمن , فالأمن مطلب شرعي ومطلب اجتمـاعي لكل الأمم ولكل الشـعوب فالإنسـان مفطـور على طلب الأمن , بل

وحتى الحيوان , والله تعالى يقول : {{ فليعبدوا رب هذا البيت الـذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف }} . إذن الأمن من الخوف إنما يكون بالإيمان ولهذا ذكر الرسول عليه السلام أن الراكب يســير من صنعاء إلى حضرموت لا يخـاف إلا الله والـذئب على غنمه , مـتى ؟ إذا استقر أمر الدين وأطاع الناس شريعة الله تعالى وانصـاعوا لها . الاستقرار الاقتصادي والبحبوحة الاقتصادية والثراء المـالي لا يـأتي من النفط فحسب أو من الـــــثروات المادية فحسب وإن كـــــانت هي المصـادر المباشـرة , هـذا صـحيح , لكن أيضا إذا لم نتصـور قضـية الإيمان وقضية النزاهة وقضية العدالة , فقد يتحـول المـال أو تتحـول الـثروات إلى بـاب للمنافسة , بـاب للأحقـاد , بـاب للتبـاغض , بـاب للتباعد , ولهذا الله تعالى يقول : {{ فليعبـدوا رب هـذا الـبيت الـذي أطعمهم من جوع }} . والله الذي لا إله غيره أنه لا اسـتقرار لهـذه البلاد ولا وحدة ولا سـلامة من عقـاب الله تعـالى وعذابه ولا أي بلد إسلامي إلا بالانصياع لشريعة الله تعالى والرجوع إلى القرآن والسـنة , والله تعــالى يقــول {{ فــإن تنــازعتم في شئ فــردوه إلى الله والرسـول }} كل من لا ينصـاع لأمر الله والرسـول وحكم الشـريعة فهو ليس بمسلم , وكل المسـلمين يقولـون - على الأقل بألسـنتهم - أنهم يقبلـون حكم الله وحكم الرسـول صـلى الله عليه وآله وسـلم عند التنازع {{ فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسـول }} فلماذا لا نرد إلى القرآن ولماذا لا نرد إلى الرسول صـلى الله عليه وآله وسلم وإلى كلام أهل العلم المعتمد في كل ما شـجر بيننا من القضـايا ؟ ولمـاذا نجعل القضـية ظنونا واتهامات ورميا بـالغيب من مكـان بعيد ؟ ألسـنا أمة واحـدة , ألسـنا نعلم اليـوم أن الأيـدي تمد لليهود للسلام معهم وأصـبح يعتـبر من لا يؤيد عملية السـلام متطرفا أصوليا يجب محاربته عند الكثـيرين ؟ أليست الأيـدي تمد للشـيوعيين ؟ أليست الأيــدي تمد للنصــارى ؟ أليست الأيــدي تمد للعلمــانيين ؟

أليست الأيــدي تمد إلى كل فئــات الــدنيا ويــرى أنه من الأصــلح والأنسب أن يكــون هنــاك نوع من الحــوار والانســجام ؟ فلمــاذا لا نحــاور أنفســنا أولا ؟ ولمــاذا لا نتصــدر للنقــاش مع أنفســنا قبل أن نتناقش مع غيرنا ؟!

أما السجن فلا يعنيني في قريب أو بعيد فأمره سهل , وأتذكر قــول الله تعــالى : {{ فضــرب بينهم بســور له بــاب باطنه فيه الرحمة وظــاهره من قبله العــذاب }} , يشــعر الإنســان أنه يــزور بلدا لأول مــرة , وبلد تــزوره لأول مــرة فيه العجــائب والغــرائب والمفاجــآت والأمــور الــتي تســتفيد منها , تضــيف إلى معلوماتك , تجــدد إيمانك , تجــدد عقلك , تجــدد يقينك , فرصة أن تهــرب من زحــام النــاس وكــثرتهم وحطمتهم وأســئلتهم , أن تهــرب وقتا اضــطراريا , تخلو بنفسك , ثم تخلو بربك , تجــرب نفسك , تجــرب صــبرك , إيمانك , عبادتك , قربك من الله , صدقك , قــدرتك على تحمل تبعة ما تدعيه أو تقوله من إصلاح أو تغيير في أحوال الناس فهو جزء من الطريق بل له فوائد كبيرة جدا . وهو ضريبة الحق والســنن الجارية على من كــان قبلنا , هو الطريق إلى تصــحيح الأوضــاع ولا شك في ذلك , بل إنني أطمع و أرجو أن يكون ذلك تفجيرا للطاقــات الخاملة في الأمة لأننا نحتاج إلى أعداد غفيرة من الدعاة والمصــلحين والمجاهــدين في هذا السبيل , الذين يصبرون ويصابرون ويرابطــون ويتقــون الله لعلهم يظفــرون بــالفلاح في الــدنيا وفي الآخــرة . تحتــاج الأمة إلى أعــداد كبيرة ونريد أن تخرج هذه المواهب , وأن يخرج أولئك الرجال , وأن يقوموا بــدعوتهم ويصــححوا أوضــاعهم ويجتهــدوا في الإصلاح بقدر ما يستطيعون . القضية ليست قضية شــخص بعينه لا فلان ولا علان , لا عــالم ولا داعية ولا مســؤول , القضــية قضــية الأمة كلها . فيا رجــال الأمة , يا دعــاة الأمة , يا شــباب الأمة , يا خــبراء الأمة , يا رجال

الأمة أين كنتم وأين كـانت مسـتوياتكم ؟ كلكم جميعا مطـالبون أن تكونـوا دعـاة إصلاح ودعـاة تغيير نحو الأفضل , ودعـاة تصحيح لكل فاسد , ودعاة احتساب على جميع أنـواع المخالفـات الشـرعية سـواء كانت مخالفات تتعلق بعلاقة الناس مع ربهم أو علاقة بعضـهم ببعض , حكاما أو محكـومين , كبـارا أو صـغارا , رجـالا أو نسـاء . يجب أن تتفجر طاقـات الأمة ومواهبها , ينبغي أن يخـرج للأمة رجالها . الله تعـالى لم يجعل دينه رهنا لأحد حـتى شـخص محمد صـلى الله عليه وآله وسـلم قـال الله تعـالى {{ وما محمد إلا رسـول قد خلت من قبله الرسل أفئن مـات أو قتل انقلبتم على أعقـابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزي الله الشاكرين }} , أما من دونه من الناس حتى لو كـانوا علمـاء أو كبـار فـالأمر بالنسـبة لنا لا يتعلق بهم , أما أمثالنا فضـعفاء لا نقـدم ولا نـؤخر وكلها كلمة اسـتدعاها المقـام – هـذا الحـدث – وقبله أحـداث كثـيرة وبعـده , والمعـنى الـذي لازلنا ندنـدن حوله هو أن مهمة الإصـلاح ينبغي ألا تكـون مرهونة بـأفراد يـذهبون و يجـيئون , يثبتـون أو لا يثبتـون , يصبرون أو لا يصـبرون , يحيـون ويموتـون , يخطئـون ويصـيبون , لا , مهمة الإسـلام ينبغي أن تكـون الأمة كلها قائمة عليها , حـتى هـذا المصلح إذا أخطأ يجب أن تعترض عليه الأمة وتصحح له خطأه , فلا أحد عنـدنا معصـوم ولا أحد مقـدس من البشر خلا الأنبيـاء عليهم الصـلاة والسـلام فهم معصـومون فيما يبلغـون عن الله تعـالى , أما الأمة فلا ينبغي أن تـرهن نفسـها بشـخص بعينه أبـدا . الأمة والحمد لله موجـودة وحية وباقية ولهـذا ينبغي أن تمـارس مهماتها وأدوارها وأعمالها وصـلاحياتها دون أن تـرهن نفسـها لرأي فلان أو علان أو قول زيد أو عبيد من الناس فهو يعبر عن رأيه وقد يكون صـوابا أو خطأ , مجتهدا أو غير مجتهد , لكن ليست الأمة ملزمة بهـذه الآراء , كل إنسان ينبغي أن يجتهد وينبغي أن يبذل وسعه في الإصلاح ويأمر

بالمعروف وينهى عن المنكر ويدعو إلى الله تعالى بقدر ما يستطيع وهو مسئول بحسب إمكانيته وبحسب اجتهاده وبحسب ما أراه الله تعالى .

كم في السجن من نِعَمْ , وكم فيه من مواهب , وكم فيه من بركات , وكم فيه من خيرات نسأل الله تعالى بحوله وقوته وقدرته وعظمته وجلاله وكرمه ألا يحرمنا نعمه . ليست العبرة بكبر المساحة أو صغرها , أو المأكل والمشرب , أو نوع المعاملة , لا , العبرة إذا الله تعالى أفاض عليك الخير وأفاض عليك من بركته سبحانه , فإن أهل الكهف كانوا في كهفهم مع ذلك يقولون {{ فأووا إلى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته }} تصور أن هذا الكهف الصغير تنتشر فيه رحمة الله تعالى , والنشر يدل على أمر واسع مع أنه كهف ضيق , لكن بركة الله تعالى لا حد لها ورحمة الله تعالى وسعت كل شئ ونسأل الله تعالى أن يشملنا بعفوه ورحمته . إذن المسألة مسألة دين ودعوة واعتقالنا جزء من مشكلة ضخمة هي أولا مشكلة جميع المعتقلين منذ سنين طويلة فإنه ليس أحد يعتقل بموجب نص صريح يبيح اعتقاله , بل لا أبالغ إن قلت أن كثيرا من المعتقلين قد يدخل ويخرج وهو لا يدري لماذا دخل ولا لماذا خرج , أما الناس فمن باب أولى أيضا فلا يدرون لماذا دخل فلان ولا كيف خرج , فهذه القضية يجب أن يكون لها حل وإن كان الجانب الشخصي فيها - كما ذكرت - لا يعنيني على كل حال الأمر أيضا أوسع من ذلك , المسألة مسألة دين , مسألة دعوة , مسألة إصلاح المجتمع بكل جوانبه , كما سبق أن تحدثت .

أوصي جميع إخواني الذين يستمعون إلى هذا الكلام , أوصيهم بالدعاء الصادق المخلص لإخوانهم – و أنا من إخوانهم أيضا – فأوصيهم بالدعاء لشخصي الضعيف ولكل إخوانهم في الله تعالى في

مشــارق الأرض ومغاربها . وأحب أن أشــرك الإخــوة معي في هــذه القصيدة التي قالها الدكتور عبد الله الحامد بعد سجنه لأنها تعبر عن المعنى الذي أريد .. عنوانها " منعوا الكلام " :

منعوا الكتابة والكلام ********** فاصمت وقل للصمت عاش

إن اللسان إذا سعى ************ في النار يشوى كالفراش

فاجعل لسانك أرنبا ***************** متدثرا جوف الخياش

فالرأي صار رذيلة ************** تخفى وتلقى في القشاش

إن الكلام جريمة ******************* يا ويل مرتكب النقاش

والنصح صار جريمة ******************** فكأنه رش الكلاش

فإذا تنفس شاعر ***************** كالقدر فوق النار جاش

وإذا تجرأ عالم ********************* أو كاتب قطعوا المعاش

ورموه في سجن البلا ***************** وكأنه بعض الخشاش

ما بين إبرة عقرب ********************** أو حية ذات انتهاش

لبس القيود أساورا ********************وخلاخلا .. يا للرياش

من دون حكم محاكم ***************** هل ينتف الطير المراش

لو أن محكمة جرت ******************** علنا قضت أن لا يناش

السجن للعلماء أم ********************* للمجرمين به افتراش

الموت حل بأمتي ********************* كبر و قل للموت عاش

يا من يجرم عالما ********************** ومثقفا فتح النقاش

من سوف يوقظ أمة **************** تبني على الريح الخشاش

ضاعت إذا علماؤها ******************* ملئوا الزنازن كالكباش

ليس المثقف بائعا ******************** سخ الحروف له فراش

أو منكرا في قلبه ****************** قد كح في جيب القماش

بلسانه أقفاله شدت ******************* وبعينه والأذن شاش

إن المعافى سالم ****************** في يوم غاشية و غاش

فالعلم ليس سلالما ******************* للرزق أو لبس الرياش

و العلم ليس كتيبا ********************* يزهو بمتن أو حواش

العلم تغطية إذا ********************* شغل المداهن بالمعاش

يا من يروم ولاءنا ********************** لسنا قطيعا من غواش

اسكب لنا حرية ********************** إنا إلى الشورى عطاش

ما نال قوم عزة *********************** و الرأي فيهم ذو ارتعاش

قولوا لمن قطعوا المعاش ******************* الله قد رزق الخشاش

والرزق مضمون أما ******************** شبعت فراخ في عشاش

إن الحياة مبادئ ********************* ما عاش من عبد المعاش

إن الكلام جهادنا ************************ و الرأي للشوك انتقاش

و كلامنا رأي بدا *********************** ما بالشقاق و لا الهراش

فإذا بدا لك صائبا ************************** فخذه فهو لكم رياش

وإذا بدا لك مخطئا ********************* عالجه في مشفى النقاش

وختاما أحب أن أختم بقضيتين مهمتين :

أولاهما أننا نجد أن في بلاد إسلامية كثيرة مشـاكل لها أول وليس لها آخر في مصر وفي الجزائر وفي أفغانســتان وفي طاجيكســتان وفي بلاد إسلامية أخرى قدر من ذلك يقل أو يكثر , فيا ترى ما هو الأمر الذي أودى بالأمور إلى ذلك الحضيض الذي أصبح عسـير العلاج ؟ إننا لا نشك أن البداية كانت مصادرة الرأي , نعم , حصلت أخطـاء بلا شك , وأخطــــاء متبادلة , ولا شك أن الأصل ينبغي أن يلام , ولا يجـوز أن نلـوم الصـورة فقط . قد تجد تعجلا هنا , وقد تقـول طيش هناك , وقد تقـول شـباب لم يـدرس ولم يتعلم , لكن يجب أن تعلم

أن أي مجتمع لا يرسي دعائمه على العدل , على حرية الكلمة المضبوطة بضابط الشرع , على الإنصاف , على الصدق , على الصراحة , أنه معرض لهزات عنيفة . و هاهنا أقول : لا يجوز لأحد أن يستغل ما يقع في بلد أو آخر ليقول هؤلاء يريدون أن يجروا البلاد إلى مثل ما هو موجود هنا أو هناك , كلا , نحن نخشى على البلاد من ذلك المصير ونعلم أنه إذا لم تتدارك الأمور فإن عقاب الله تعالى نازل , قد ينزل عقاب الله تعالى بأيدي أعدائنا , وقد يكون بأيدي أصدقائنا أيضا فإن الأمور إذا خرجت عن نطاق السيطرة تصبح إعادتها إلى ما كانتعليه حلما بعيد المنال , فيجب ندرك جميعا أن هناك قضية هي قضية الأمة , وقد يتصور الكثيرون أن ما نعيشه الآن وضع مستقر وثابت ولكن يجب أن نعلم أن عقاب الله تعالى إذا نزل قد يفاجئ الكثيرين أيضا , فعلينا أن ندرك أنه لا ضمان لما نعيشه إلا بدعوة الإصلاح الجهورية التي تعطي للإنسان حقه وتحفظ للمرء المسلم كرامته وتعيد الأمور إلى نصابها وتراعي المتغيرات الكثيرة المحلية والدولية وبغير ذلك فإننا نخشى أن نعود كما كنا أمما وشعوبا وأحزابا وقبائل يحارب بعضها بعضا ويقاتل بعضها بعضا . والله إن الإنسان يخشى أشد الخشية على هذا البلد من المصير الذي آلت إليه الأمور في بلاد أخرى كثيرة .. والأمر كما قال شعيب عليه السلام : {{ إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب }} .

إذن مطلبنا يتلخص في إصلاح أوضاع الناس , أما الدعاة بذاتهم فلا يضيرهم حتى لو نالهم ضر أو حرموا , هذا الأمر سهل ويسير بل إنهم لا يجدون حرجا في أن يتنازلوا عن كل هذه الأمور الجانبية والشخصية , وأنفسنا وأموالنا وأعمارنا وكل ما نملك فداء لدين الله تعالى وفداء لدعوة الإصلاح .

القضـــية الثانية : أن مهمة الإصـــلاح الـــتي نســـتهدفها , ويجب أن يستهدفها جميع المخلصـين , ليست مقصـورة على بلد بعينه ولا على مجال بخصوصه , بل ينبغي أن نستهدف العمل على إصلاح الأمة في كل مكان بقدر المسـتطاع , سـواء في الجـوانب العلمية أو الجـوانب العملية . هــذه المهمة يجب أن ينتــدب لها من بيننا أقــوام نــذروا أنفســهم لهــذه المهمة وصــبروا عليها , ونحن نعتقد أن جــزء من مسئوليتنا يتمثل في مخاطبة الأمة كلها بقضـاياها العامة في مشـارق الأرض ومغاربها , والوقــوف مع المســلمين في مهمــاتهم ومصــائبهم ونكباتهم , وتعريف إخـوانهم المسـلمين بقضـاياهم والعمل على إحيـاء الأخــوة الدينية بين المســلمين وإزالة جميع المظــاهر الســيئة من حيــاتهم . هــذا هــدف عــام , وهو يتطلب حضـورا علميا حقيقيـا في نـوادي المسـلمين وأمـاكنهم وتجمعـاتهم وعقـولهم , بقـدر المسـتطاع وبقدر ما تسمح به الآلة الإعلامية التي يملكها دعاة الإسـلام اليـوم . نحن نعيش مع إخواننـا المسـلمين في البوسـنة أو في الصـومال أو في طاجيكســتان أو في مصر أو في بلاد الشــام أو فلســطين أو غيرها , فإننا معهم لحظة لحظة و سـاعة سـاعة , ونعتـبر هـذا جـزء من مسئوليتنا , وأنه خيانة للاخـوة الدينية أن نتخلى عنهم أو نـتركهم ونسلمهم لعدوهم أو نهمل شـؤونهم وقضـاياهم , وإذا لم نسـتطع أن نمد لهم يد العــون فلا أقل من أن نلقي الضــوء على قضــيتهم أو نتحــدث عنهم ولو بكلمة طيبة تــداوي جــراحهم وتهــدئ مشــاعرهم وتشعرهم بـان هنـاك من إخـوانهم المسـلمين من يتـأثر ويحـزن لهم ويعبر عن شعوره تجـاه قضـاياهم وأزمـاتهم ومشـكلاتهم , وبحمد الله تعالى تحقق من ذلك شئ نحمد الله تعالى عليه ونسـأله المزيد من فضله , كما أسأل الله تعالى أن يـأتي اليـوم الـذي يتمكن فيه دعـاة الإسـلام من أن يـزوروا إخـوانهم ويجلسـوا بين أظهـرهم ويحـادثوهم ويتعرفـوا على مشـكلاتهم عن كثب ويسـاعدوهم في حلها مسـاعدة

مباشرة حتى تتحقق الأخوة الشـرعية الدينية الحقيقية بين المسـلمين في كل مكان {{ والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أوليـاء بعض يـأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله }} نسـأل الله تعـالى بـأن يجعلنا من هـؤلاء , إذ ليست قضـيتنا محلية ولا خاصة و إقليمية , قضيتنا هي قضية كل مسلم في الصين أو السـند أو الهند أو كشـمير أو بنجلادش أو الأكـراد أو الجزائر أو تـونس أو مصر أو فلسـطين أو بلاد أفغانسـتان أو طاجيكسـتان أو قضـية المسـلمين في أوربا أو في أمريكا أو في روسـيا أو في أي مكان من الأرض فمفهوم الوطن عندنا شمل واتسع :

ولست أبغي سوى الإسلام وطنا ****** الشام فيه و وادي النيل سيان

وحيث ذكر اسم الله في بلد ******** عددت أرجاءه من لب أوطاني

قضـيتنا قضـية الإسـلام والمسـلمين في كل مكـان , ينبغي أن تزول فكـرة الحـواجز والحـدود والسـدود والموانـع الـتي جعلت المسـلم لا ينتصر لأخيه أو لا يسـمع صـوته أو لا يسـتجيب أو لا ينصـره ظالما كـان مظلوما كمـا أمر النـبي عليه الصـلاة والسـلام . ولهـذا فقضـيتنا كبـيرة فنحن ننظر للخريطة الإسـلامية , للصـورة بشـكلها الشـامل فنشعر بأن الأمر يتطلب إنقاذا مباشـرا . هنـاك حرائق تشب في كل مكـان تتطلب إطفـاء وينبغي أن يتصـدى لها ولو نفر قليل بقـدر الإمكان , وإن كنا نعرف أن الأمور قد تكـون أكـبر مـني ومنك ولكن مع ذلك الجزء اليسـير يبـارك الله تعـالى فيه , وأيضا الله تعـالى لم يكلفنا إلا ما نستطيع فقضـيتنا ليست قضـية دولة أو بلد أو وطن أو منطقة مع أن هذا البلد من لب بلاد المسلمين وهو بلد تشرئب إليه

أعنـاق المسـلمين في كل مكـان ويتطلعـون إليه , ولعله من هـذا المنطلق ما يحظى به صــوت الــدعوة من تقبل واســتجابة من المسـلمين في بلاد كثـيرة من بلاد المسـلمين ومن غيرها . وأسـأل الله تعــالى أن يجعل ذلك العمل خالصا لوجهه الكــريم وأن يــأذن بتوحيد كل المســلمين على الحق وأن يزيــل ما بينهم من تباعد أو تطاعن أو تباغض , ويعودوا كما أمرهم الله تعالى أمة واحدة متعاونة على البر والتقوى , ما يصيب قريبنا يصيب بعيدنا , والألم الذي يـنزل بمسلم عـادي في أي بلد يشـعر فيه أخـوه المسـلم مهما بعـدت به الدار ونأى به المزار , لا تحـول المسـافات المكانية ولا الزمانية دون إحساسه بآلام إخوانه المسلمين ونصـره لهم , إن كـان نصرا بالكلمة أو بالوقوف معهم أو بتبني قضـيتهم أو بالـدفاع عن مشـروع أو بـأي أمر يحتاجه ونسـتطيع نحن بـأن نؤديه عنه , فقضـيتنا هي قضـية كل مسلم على ظهر الأرض .

هـذه بعض المعـاني وبعض الأفكـار وبعض الخـواطر الـتي جـالت في ذهني فأحببت أن أفضيها لإخواني , قد ينقصـها الـترقيق , قد ينقصـها الأعداد , لكني أحببت أن أبوح بها أمانة أوصلها إلى كل من يريد أن يعرف القضية , وأسأل الله تعالى أن يوفقنا لخير الدنيا والآخـرة وأن يجعل ما كُتب لنا خير لنا في الدارين إنه على كل شئ قدير . هـذا وأســأل الله بصــفاته العليا وأســمائه الحســنى أن يعز الإســلام والمسلمين وأن يذل الشرك والمشركين وأن يدمر أعداء الـدين وأن ينصر من يعلم أنه على الحق ويثبته ويوفقه ويهديه , وأن يهـدي من يعلم عنه خلاف ذلك إلى الحق ويــــرده إليه ردا جميلا , وأن يقصم ظهر كل من يعلم منه العنــاد والإصــرار والمحاربة لدينه وشــريعته ونبيه عليه الصلاة والسلام , وأن يهدي ضال المسـلمين إنه على كل شئ قدير .

اللهم صــلي على محمد وعلى آل محمد كما صــليت على إبــراهيم إنك حميد مجيد , وبـــارك على محمد وعلى آل محمد كما بـــاركت على إبـــراهيم إنك حميد مجيد والحمد لله رب العـــالمين والســلام عليكم ورحمة الله وبركاته , وإلى لقاء إن شاء الله قريب غــير بعيد بإذن ربنا ذو الجلال والإكرام الحي القيـوم سـبحانه وتعـالى وأسـتودع الله دينكم جميعا و أمـانتكم وخـواتيم أعمـالكم والله على كل شـيء قدير .